نزول السكينة والملائكة عند القراءة (١)

وقال الليث حدثني زيد بن الهاد عن محمد بن ابراهيم عن أسيد بن الحضير قال: بيناهو يقرأ من الليل سورة البقرة وفرسه مربوطة عنده إذ جالت الفرس فسكت فسكنت، فقرأ فجالت الفرس فسكت فسكنت، ثم قرأ فجالت الفرس فانصرف وكان ابنه يحيى قريبا منها فأشفق أن تصيبه، فلما اجتره(٢) رفع رأسه إلى السماء حتى مايراها(٣) فلما أصبح حدث النبي ﷺ فقال «اقرأ يا ابن حضير اقرأ يا ابن حضير» قال فأشفقت ان تطأ يحيى وكان منها قريبا فرفعت رأسي وانصرفت اليه فرفعت رأسي الى السماء فاذا مثل الظلة فيها أمثال المصابيح

---

(١) في البخاري باب نزول الخ (٢) أي فلما جر أسيد ابنه يحيى من ذلك المكان وفي رواية أخرى (٣) ذكر الحافظ أن فيه اختصاراً صله كما رواه أبو عبيد: رفع رأسه الى السماء فاذا هو بمثل الظلة فيها امثال المصابيح عرجت الى السماء حتى مايراها اه وفي صحيح البخاري أشياء لهذا الحذف سببه ان بعض الرواة يختصر الرواية للعلم بما يتركه منها فيقتصر البخاري على لفظه وان لم يفهمه من لم يعرف أصله كاملا وفي بقية هذه الرواية هنا مثل لما حذف منها

فخرجت حتى لا أراها ، قال « وتدري ماذاك ؟ » قال لا ، قال « تلك الملائكة دنت لصوتك ، لو قرأت لأصبحت ينظر الناس اليها لا تتوارى منهم » قال ابن الهاد وحدثني هذا الحديث عبد الله بن خباب عن ابي سعيد الخدري عن أسيد ابن الحضير (١)

هكذا أورد البخاري هذا الحديث معلقا وفيه انقطاع في الرواية الاولى فان محمد بن ابراهيم بن الحارث التيمي المدني تابعي صغير لم يدرك أسيدا لانه مات سنة عشرين وصلى عليه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ، ثم فيه غرابة من حيث انه قال : وقال الليث حدثني يزيد بن الهاد ، ولم اره بسند متصل عن الليث بذلك الا ما ذكره الحافظ ابو القاسم ابن عساكر في الاطراف ان يحيى بن عبد الله بن بكير رواه عن الليث كذلك

وقد رواه الامام ابو عبيد في فضائل القرآن فقال : وحدثنا عبد الله بن صالح ويحيى بن بكير عن الليث عن يزيد

(١) جاء في نسخة هذا الكتاب اسم حضير في اول هذا الحديث وآخره محلى بالالف واللام خلافا لما في نسخ البخاري

ابن عبد الله بن أسامة بن الهاد عن محمد بن ابراهيم بن الحارث التيمي عن اسيد بن حضير فذكر الحديث الى آخره ، ثم قال قال ابن الهاد وحدثني عبد الله بن خباب عن ابي سعيد عن أسيد بن حضير بهذا

وقد رواه النسائي في فضائل القرآن عن محمد بن عبد الله ابن عبد الحكم عن شعيب بن الليث وعن علي بن محمد بن علي عن داود بن منصور كلاهما عن الليث عن خالد بن يزيد عن سعيد بن ابي هلال عن يزيد بن عبد الله — وهو ابن الهاد — عن عبد الله بن خباب عن ابي سعيد عن أسيد به ، ورواه يحيى بن بكير عن الليث كذلك أيضا فجمع بين الاسنادين ، ورواه في المناقب عن احمد بن سعيد الرباطي عن يعقوب بن ابراهيم عن أبيه عن يزيد بن الهاد عن عبد الله بن خباب عن أبي سعيد ان أسيد بن حضير بينما هو ليلة يقرأ في مربده الحديث ولم يقل عن أسيد ولكن ظاهره انه عنه والله أعلم

وقال ابو عبيد حدثني عبد الله بن صالح عن الليث عن ابن شهاب عن ابن كعب بن مالك عن اسيد بن حضير انه كان

يقرأ على ظهر بيته يقرأ القرآن وهو حسن الصوت . ثم ذكر مثل هذا الحديث أو نحوه

وحدثنا قبيصة عن حماد بن سلمة عن ثابت البناني عن عبد الرحمن بن ابى ليلى عن أسيد ابن حضير قال : قلت يارسول الله بينا انا اقرأ البارحة بسورة فلما انتهيت الى آخرها سمعت وجبة من خلفي حتى ظننت أن فرسي تطلق فقال رسول الله « اقرأ أبا عتيك » مرتين قال فالتفت فرأيت الى امثال المصابيح مابين السماء والارض فقال رسول الله « اقرأ ابا عتيك » فقال والله ماستطعت ان أمضي فقال « تلك الملائكة تنزلت لقراءة القرآن ، اما انك لو مضيت لرأيت الاعاجيب »

وقال ابو داود الطيالسي ثنا شعبه عن ابى اسحاق سمع البراء يقول : بينما رجل يقرأ سورة الكهف ليلة إذ رأى دابته تركض ـ او قال فرسه يركض ـ فنظر فاذا مثل الضبابة او مثل الغمامة ، فذكر ذلك لرسول الله فقال « تلك السكينة تنزلت للقرآن — او — تنزلت على القرآن » وقد أخرجه صاحبا الصحيح من حديث شعبة

والظاهر ان هذا هو أسيد بن الحضير رضي الله ء فهذا مما يتعلق بصناعة الاسناد وهذا من أغرب تعليقات البخاري رحمه الله، ثم سياقه ظاهر فيما ترجم عليه من نزول السكينة والملائكة عند القراءة، وقد اتفق نحو هذا الذي وقع لأسيد بن الحضير لثابت بن قيس بن شماس كما قال ابو عبيد ثنا عباد بن عباد عن جرير بن حازم عن عمه جرير بن يزيد ان أشياخ أهل المدينة حدثوه ان رسول الله قيل له ألم تر ثابت بن قيس بن شماس لم تزل دارها البارحة تزهر مصابيح قال «فلعله قرأ سورة البقرة» قال فسئل ثابت، فقال قرأت سورة البقرة

وفي الحديث المشهور الصحيح «ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا تنزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده» رواه مسلم عن أبي هريرة ولهذا قال الله تعالى (وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا) جاء في بعض التفاسير أن الملائكة تشهده

وقد جاء في الصحيحين عن أبي هريرة قال: قال رسول

الله ﷺ « يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الصبح وصلاة العصر فيعرج اليه الذين نزلوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بكم كيف تركتم عبادي ؟ فيقولون أتيناهم وهم يصلون وتركناهم وهم يصلون »

﴿ من قال لم يترك النبي ﷺ إلا ما بين الدفتين ﴾ (١)

حدثنا قتيبة بن سعيد ثنا سفيان عن عبد العزيز بن رُفيع قال دخلت أنا وشداد بن معقل على ابن عباس فقال له شداد ابن معقل أترك النبي ﷺ من شيء ؟ قال ما ترك إلا ما بين الدفتين . قال ودخلنا على محمد بن الحنفية فسألناه فقال ما ترك إلا ما بين الدفتين

تفرد به البخاري ومعناه أنه عليه السلام ما ترك مالا ولا شيئا يورث عنه كما قال عمرو بن الحارث أخو جويرية ما ترك رسول الله ﷺ دينارا ولا درهما ولا عبدا ولا أمة ولا شيئا وفي حديث أبي الدرداء « إن الانبياء لم يورثوا ديناراً

(١) في صحيح البخاري زيادة باب كما تقدم في نظائره . والدفتان بالتشديد اللوحان والمراد ما بين جانبي المصحف

ولا درهما وإنما ورثوا العلم فمن اخذه اخذ بحظ وافر» ولهذا قال ابن عباس وإنما ترك ما بين الدفتين يعني القرآن ، والسنة مفسرة له ومبينة وموضحة أي تابعة له والمقصود الاعظم كتاب الله تعالى كما قال تعالى (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا) الآية

فالانبياء عليهم السلام لم يخلقوا للدنيا يجمعونها ويورثونها وانما خلقوا للآخرة يدعون اليها ويرغبون فيها، ولهذا قال رسول الله ﷺ «ما تركنا فهو صدقة» وكان أول من أظهر هذه المحاسن من هذا الوجه أبو بكر الصديق رضي الله عنه لما سئل ميراث رسول الله ﷺ فاخبر عنه بذلك ووافقه على نقله عنه عليه السلام غير واحد من الصحابة منهم عمر وعثمان وعلي والعباس وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وأبو هريرة وعائشة وغيرهم وهذا ابن عباس يقوله أيضا عنه عليه السلام رضي الله عنهم أجمعين

فضل القرآن على سائر الكلام (١)

حدثنا هدبة بن خالد أبو خالد ثنا همّام ثنا قتادة ثنا أنس ابن مالك عن أبي موسى رضي الله عنهما عن النبي ﷺ « مثل الذي يقرأ القرآن كمثل الاترجة طعمها طيب وريحها طيب ، والذي لا يقرأ القرآن كالتمرة طعمها طيب ولا ريح لها ، ومثل الفاجر الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب وطعمها مر ، ومثل الفاجر الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة طعمها مر ولا ريح لها » وهكذا رواه في مواضع أخر مع بقية الجماعة من طرق عن قتادة به ، ووجه مناسبة الباب لهذا الحديث أن طيب الرائحة دار مع القرآن وجودا وعدما فدل على شرفه على ماسواه من الكلام الصادر من البر والفاجر

(ثم قال) ثنا مسدد ثنا يحيى عن سفيان حدثني عبد الله ابن دينار قال سمعت ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال « إنما أجلكم في أجل من خلا من الامم كما بين صلاة العصر

(١) في أصل صحيح البخاري زيادة باب كما تقدم في أمثاله وانما نعيد ذكره لتنبيه الجمهور الى النقل عن البخاري

ومغرب الشمس ، ومثلكم ومثل اليهود والنصارى كمثل رجل استعمل عمالا فقال من يعمل لي الى نصف النهار على قيراط ؟ فعملت اليهود ، فقال من يعمل لي من نصف النهار الى العصر ؟ فعملت النصارى ، ثم انتم تعملون من العصر الى المغرب بقيراطين قيراطين ، قالوا نحن اكثر عملا وأقل ، عطاء قال هل ظلمتكم من حقكم شيئا ؟ قالوا لا ، قال فذاك فضلي أوتيه من شئت »

تفرد به من هذا الوجه ومناسبته للترجمة أن هذه الامة مع قصر مدتها فضلت الامم الماضية مع طول مدتها كما قال تعالى (كنتم خير أمة اخرجت للناس)

وفي المسند والسنن عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله ﷺ « أنتم توفون سبعين أمة أنتم خيرها واكرمها على الله »

وإنما فازوا بهذا ببركة الكتاب العظيم القرآن الذي شرفه الله على كل كتاب انزله وجعله مهيمنا عليه وناسخا له وخاتما له ، لأن كل الكتب المتقدمة نزلت الى الارض جملة واحدة وهذا القرآن نزل منجما بحسب الوقائع لشدة الاعتناء

به وبمن انزل عليه فكل مرة كنزول كتاب من الكتب المتقدمة (١)

واعظم الامم المتقدمة هم اليهود والنصارى فاليهود استعملهم الله من لدن موسى الى زمان عيسى ، والنصارى من ثم الى أن بعث محمدا ﷺ ثم استعمل امته الى قيام الساعة وهو المشبه بآخر النهار، واعطى المتقدمين قيراطا قيراطا ، واعطى هؤلاء قيراطين قيراطين ضمني ما اعطى أولئك فقالوا أي ربنا مالنا اكثر عملا وأقل أجراً ؟ فقال هل ظلمتكم من اجركم شيئا؟ قالوا لا قال فذاك فضلي — أي الزائد على ما اعطيتكم اوتيه من اشاء ، كما قال تعالى (يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نوراً تمشون به ويغفر لكم والله غفور رحيم * لئلا يعلم اهل الكتاب ألاّ يقدرون على شيء من فضل الله وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم)

(١) هذا التعليل لتفضيل القرآن عليها غير ظاهر بل فضله عليها ذاتي له بلفظه واسلوبه وبمعانيه وقد كان بها معجزاً للخلق ومكملا للدين الالهي فيهم وبغير ذلك من خصائصه . وأهل الكتاب لا يسلمون أن التوراة نزلت على موسى جملة واحدة وإنما تلك الوصايا التي كتبها الله له في الالواح ، وأما سائر خطابه له بشأن التبليغ لفرعون وقومه ولبني اسرائيل فكان تدريجياً

الوصاة بكتاب الله (١)

حدثنا محمد بن يوسف ثنا مالك بن مغول ثنا طلحة هو ابن مصرف سألت عبد الله ابن أبي أوفى : أوصى النبي صلى الله عليه وسلم ؟ قال لا قال قلت فكيف كتب على الناس الوصية أمروا بها ولم يوص ؟ قال أوصى بكتاب الله عز وجل ،

وقد رواه في مواضع أخر مع بقية الجماعة إلا أبا داود من طرق عن مالك بن مغول به ، وهذا نظير ما تقدم عن ابن عباس أنه ما ترك إلا ما بين الدفتين . وذلك ان الناس كتب عليهم الوصية في أموالهم كما قال تعالى (كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت ان ترك خيراً الوصية للوالدين والاقربين) وأما هو صلى الله عليه وسلم فلم يترك شيئا يورث عنه ، وأما ترك ماله صدقة جارية من بعده فلم يحتج الى وصية في ذلك ، ولم يوص الى خليفة يكون بعده على التنصيص لان الامر كان ظاهراً من اشاراته وإيماآته الى الصديق ولهذا لما هم بالوصية الى أبي بكر ثم

(١) أي باب الوصاة وفي نسخة من البخاري الوصية

عدل عن ذلك قال« يأبى الله والمؤمنون الا أبا بكر » وكان كذلك وانما أوصى الناس باتباع كلام الله(١)

ص لم يتغن بالقرآن (٢)

وقول الله تعالى (أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم)

حدثنا يحي بن بكير ثنا الليث عن عقيل عن بن شهاب ، قال اخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه كان يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لم يأذن الله لشيء ما أذن لنبي يتغنى بالقرآن » وقال صاحب له يريد يجهر به فرد من هذا الوجه ، ثم رواه عن علي بن عبد الله بن المديني عن سفيان بن عيينة عن الزهري به قال سفيان : تفسيره يستغني به

وقد اخرجه مسلم والنسائي من حديث سفيان بن عيينة

---

(١) وأوصى ﷺ ايضاً بالنساء وبالرقيق وباخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب وأن لا يبقى فيها دينان (٢) حذف منه كلمة باب

به ، ومعناه ان الله تعالى ما استمع لشيء كاستماعه لقراءة نبي يجهر بقراءته ويحسنها وذلك انه يجتمع في قراءة الانبياء طيب الصوت لكمال خلقهم وتمام الخشية وذلك هو الغاية في ذلك ، وهو سبحانه وتعالى يسمع أصوات العباد كلهم برهم وفاجرهم كما قالت عائشة رضي الله عنها : سبحان الذي وسع سمعه الاصوات . ولكن استماعه لقراءة عباده المؤمنين أعظم كما قال تعالى (وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم شهوداً إذ تفيضون فيه) الآية ، ثم استماعه لقراءة أنبيائه أبلغ كما دل عليه هذا الحديث العظيم (١) ، منهم من فسر الاذن ههنا بالامر والاول اولى لقوله « ماأذن الله لشيء ، ماأذن لنبي يتغنى بالقرآن » اي يجهر به والاذن الاستماع لدلالة السياق عليه وكما قال تعالى (اذا السماء انشقت * وأذنت لربها وحُقت * واذا الارض مُدت * وألقت مافيها وتخلت * واذنت لربها وحقت) اي

---

(١) المراد بالاذن أي السمع في الحديث سماع الرضاء والقبول ومثله في ذكر الاعتدال من الركوع « سمع الله لمن حمده » وفعله من باب تعب وفرح

استمعت لربها وحقت اي وحق لها ان تستمع امره و تطيعه ، فالأذن ههنا هو الاستماع . ولهذا جاء في حديث رواه ابن ماجه بسند جيد عن فضالة بن عبيد قال : قال رسول الله ﷺ « لله أشد أذنا الى الرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة الى قينته »

وقول سفيان بن عيينه ان المراد بالتغني يستغني به ، فان اراد انه يستغني به عن الدنيا وهو الظاهر من كلامه الذي تابعه عليه ابو عبيد القاسم بن سلام وغيره ، فخلاف الظاهر من مراد الحديث لانه قد فسره بعض رواته بالجهر وهو تحسين القراءة والتحزين بها

قال حرملة سمعت ابن عيينة يقول معناه يستغني به فقال لي الشافعي ليس هو هكذا ولو كان هكذا لكان يتغانى ، انما هو يتحزن ويترنم به . قال حرملة وسمعت ابن وهب يقول يترنم به ، وهكذا نقل المزني والربيع عن الشافعي رحمه الله

وعلى هذا فتصدير البخاري الباب بقوله تعالى (أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة

وذكرى لقوم يؤمنون) فيه نظر لان هذه الآية الكريمة ذكرت رداً على الذين سألوا آيات تدل على صدقه حيث قال (ويقولون لولا أنزل عليه آيات من ربه ؟ فقل انما الآيات عند الله وانما أنا نذير مبين * أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم) الآية ، ومعنى ذلك أولم يكفهم آية دالة على صدقك انزالنا القرآن عليك وأنت رجل أمي ؟ (وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذاً لارتاب المبطلون) أي وقد جئت فيه بخبر الاولين والآخرين فأين هذا من التغني بالقرآن وهو تحسين الصوت به أو الاستغناء به عما عداه من أمور الدنيا ؟ فعلى كل تقدير تصدير الباب بهذه الآية فيه نظر (١)

---

(١) لتصدير الباب بالآية على التقدير الثاني وجه ظاهر اعتمد عليه شراح البخاري وهو الاستغناء بالقرآن عن غيره باطلاق يدخل فيه كل ماينا سبه ، وذكروا من اسباب نزول الآية ما أخرجه الطبري من مجيء ناس من المسلمين بكتب قد كتبوا فيها بعض ماسمعوا من أهل الكتاب فقال النبي (ص) « كفى بقوم ضلالة أن يرغبوا عما جاء به نبيهم الى ما جاء به غيره الى غيرهم » فنزلت الآية

فصل

﴿في إيراد أحاديث في معنى الباب﴾

﴿وذكر أحكام التلاوة بالأصوات﴾

قال أبو عبيد حدثنا عبد الله بن صالح عن قباث بن رزين عن علي بن رباح اللخمي عن عقبة بن عامر قال: خرج علينا رسول الله ﷺ يوما ونحن في المسجد نتدارس القرآن قال «تعلموا كتاب الله واقتنوه — قال وحسبت أنه قال — وتغنوا به فوالذي نفسي بيده لهو أشد تفلتا من المخاض من العقل»

وحدثنا عبد الله بن صالح عن موسى بن علي عن أبيه عن عقبة عن رسول الله ﷺ مثل ذلك الا أنه قال «واقتنوه وتغنوا به» ولم يشك. وهكذا رواه النسائي في كتاب فضائل القرآن من حديث موسى بن علي عن أبيه به، ومن حديث عبد الله بن المبارك عن قباث بن رزين عن علي بن رباح عن عقبة، وفي بعض ألفاظه خرج علينا ونحن نقرأ القرآن فسلم علينا وذكر الحديث ففيه دلالة على السلام على القارىء

وقال أبو عبيد ثنا أبو اليمان عن أبي بكر بن عبدالله بن أبي مريم عن المهاجر بن حبيب قال : قال رسول الله ﷺ « ياأهل القرآن لا توسدوا القرآن واتلوه حق تلاوته آناء الليل والنهار وتفنوه وتفنوه واذكروا مافيه لعلكم تفلحون » وهذا مرسل ، ثم قال أبو عبيد : قوله « تفنوه » أي اجعلوه غناءكم من الفقر ولا تعدوا الاقلال معه فقراً وقوله « وتفنوه » يقول اقتنوه كما تقتنوا الاموال اجعلوه مالكم

وقال أبو عبيد حدثني هشام بن عمار عن علي بن حمزة عن الاوزاعي قال حدثني اسماعيل بن عبيدالله بن أبي المهاجر عن فضالة بن عبيد عن النبي ﷺ قال « الله أشد أذانا الى الرجل الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة الى قينته » قال أبو عبيد هذا الحديث بعضهم يزيد في اسناده يقول عن اسماعيل بن عبيد الله عن مولى فضالة عن فضالة . وهكذا رواه ابن ماجه عن راشد بن سعيد بن أبي راشد عن الوليد عن الاوزاعي عن اسماعيل بن عبيد الله عن ميسرة مولى فضالة عن فضالة عن النبي ﷺ « لله أشد أذنا الى الرجل

الحسن الصوت بالقرآن من صاحب القينة الى قينته » قال أبو عبيد يعني الاستماع ، وقوله في الحديث الآخر « ماأذن الله لشيء » أي ما استمع

وقال أبو القاسم البغوي حدثنا محمد بن حميد ثنا سلمة ابن الفضل ثنا عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي مليكة حدثنا القاسم بن محمد حدثني السائب قال : قال لي سعد يا ابن أخي هل قرأت القرآن ؟ قلت نعم، قال غن به فاني سمعت رسول الله ﷺ يقول « غنوا بالقرآن ليس منا من لم يغن بالقرآن ، وابكوا فان لم تقدروا على البكاء فتباكوا »

وقد روى ابو داود من حديث الليث عن عبد الله بن أبي مليكة عن عبد الله بن أبي نهيك عن سعد بن أبي وقاص قال : قال رسول الله ﷺ « ان هذا القرآن نزل بحزن فاذا قرأتموه فابكوا فان لم تبكوا فتباكوا ، وتغنوا به فمن لم يتغن به فليس منا » وفي هذا الحديث كلام طويل يتعلق بسنده ليس هذا موضعه والله أعلم

وقال أبو داود ثنا عبد الأعلى بن حماد ثنا عبد الجبار بن

الورد قال سمعت ابن أبي مليكة يقول قال عبيد الله بن أبي زيد : مر بنا أبو لبابة فاتبعناه حتى دخل بيته فدخلنا عليه فاذا رجل رث البيت رث الهيئة فانتسبنا له فقال تجار كسبة فسمعته يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول « ليس منا من لم يتغن بالقرآن » قال فقلت لابن أبي مليكة يا أبا محمد أرأيت إذا لم يكن حسن الصوت؟ قال يحسنه ما استطاع . تفرد به أبو داود فقد فهم من هذا أن السلف رضي الله عنهم انما فهموا من التغني بالقرآن انما هو تحسين الصوت به وتحزينه كما قاله الائمة رحمهم الله

ويدل على ذلك أيضا ما رواه أبو داود حيث قال ثنا عثمان بن أبي شيبة ثنا جرير عن الاعمش عن طلحة عن عبد الرحمن بن عوسجة عن البراء بن عازب قال قال رسول الله ﷺ « زينوا القرآن بأصواتكم » وأخرجه النسائي وابن ماجه من حديث شعبة عن طلحة وهذا اسناد جيد . وقد وثق النسائي وابن حبان عبد الرحمن بن عوسجة هذا . ونقل الازدي عن يحي بن سعيد القطان أنه قال سألت عنه بالمدينة فلم أرهم يحمدونه

وقال ابو عبيد القاسم بن سلام حدثنا يحي بن سعيد عن شعبة قال نهاني أيوب أن أحدث بهذا الحديث « زينوا القرآن بأصواتكم » قال أبو عبيد وانما كره أيوب فيما نرى أن يتأول الناس بهذا الحديث الرخصة من رسول الله ﷺ في الالحان المبتدعة ، فلهذا نهاه أن يحدث به . (قلت) ثم ان شعبة رحمه الله ، روى الحديث متوكلا على الله كما روي له ، ولو ترك كل حديث يتأوله مبطل لترك من السنة شيء كثير بل قد تطرقوا الى تأويل آيات كثيرة من القرآن وحملوها على غير محاملها الشرعية المرادة وبالله المستعان وعليه التكلان ولا حول ولا قوة الا بالله

والمراد من تحسين الصوت بالقرآن تطريبه وتحزينه والتخشع به كما رواه الحافظ الكبير تقي بن مخلد رحمه الله حيث قال : ثنا احمد بن ابراهيم عن ابى موسى عن أبيه قال قال لي رسول الله ﷺ ذات يوم « يا أبا موسى لو رأيتني وأنا أستمع قراءتك البارحة » قلت أما والله لو علمت انك تسمع قراءتي لحبرتها لك تحبيرا .

ورواه مسلم من حديث طلحة به . وزاد « لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود » وسيأتي هذا في بابه حيث يذكره البخاري . والغرض أن أبا موسى قال لو أعلم أنك تسمعه لحبرته لك تحبيرا فدل على جواز تعاطي ذلك وتكلفه ، وقد كان أبو موسى كما قال عليه السلام قد أعطي صوتا حسنا كما سأذكره ان شاء الله مع خشية تامة ورقة أهل اليمن ، فدل على أن هذا من الامور الشرعية .

قال أبو عبيد وحدثنا عبد الله بن صالح عن الليث عن يونس عن ابن شهاب عن أبي سلمة قال : كان عمر إذا رأى أبا موسى قال ذكرنا ربنا يا أبا موسى ، فيقرأ عنده

قال أبو عبيد : ثنا سليمان التيمي أو نبئت عنه ثنا أبو عثمان النهدي قال كان أبو موسى يصلي بنا فلو قلت اني لم أسمع صوت صنج قط ولا بربط قط ولا شيئا قط أحسن من صوته .

وقال ابن ماجه حدثنا العباس بن عثمان الدمشقي ثنا الوليد بن مسلم حدثني حنظلة بن أبي سفيان أنه سمع عبد الرحمن بن سابط الجمحي يحدث عن عائشة قالت أبطأت على رسول الله صلى

الله عليه وسلم ليلة بعد العشاء ثم جئت فقال « أين كنت ؟ » قلت كنت أسمع قراءة رجل من أصحابك لم أسمع مثل قراءته وصوته من أحد ، قالت فقام فقمت معه حتى استمع له ثم التفت إليّ فقال « هذا سالم مولى أبي حذيفة ، الحمد لله الذي جعل في أمتي مثل هذا » إسناد جيد .

وفي الصحيحين عن جبير بن مطعم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في المغرب بالطور فما سمعت أحداً أحسن صوتا أو قراءة منه ، وفي بعض ألفاظه فلما سمعته قرأ (أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون ؟) خلت أن فؤادي قد انصدع (١) وكان جبير لما سمع هذا بعد مشركا على دين قومه وانما كان قدم في فداء الاسارى بعد بدر ، وناهيك بمن تؤثر قراءته في المشرك المصر على الكفر ، فكان هذا سبب هدايته . ولهذا كان أحسن القراآت ما كان عن خشوع من القلب كما قال أبو عبيد ثنا اسماعيل بن ابراهيم عن ليث عن طاوس قال : أحسن الناس صوتا بالقرآن أخشاهم لله .

---

(١) في تفسير سورة الطور من البخاري أنه قال : كاد قلبي أن يطير ، وفيه أنه ذكر ثلاث آيات من السورة أولها ماهنا

وحدثنا قبيصة عن سفيان عن ابن جريج عن ابن طاوس عن أبيه قال : أحسن الناس صوتا بالقرآن أخشاهم لله » وحدثنا قبيصة عن سفيان عن ابن جريج عن ابن طاوس عن أبيه ، وعن الحسن بن مسلم عن طاوس قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الناس أحسن صوتا بالقرآن ؟ فقال « الذى اذا سمعته رؤيته يخشى الله » (١)

وقد روى هذا متصلا من وجه آخر فقال ابن ماجه حدثنا بشر بن معاذ الضرير ثنا عبد الله بن جعفر المديني ثنا ابراهيم بن اسماعيل عن مجمع عن أبي الزبير عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان من أحسن الناس صوتا بالقرآن الذي إذا سمعتموه يقرأ حسبتموه يخشى الله » ولكن عبد الله بن جعفر هذا ـ وهو والد علي بن المديني ـ وشيخه ضعيفان والله أعلم

والغرض ان المطلوب شرعا انما هو التحسين بالصوت الباعث على تدبر القرآن وتفهمه والخشوع والخضوع والانقياد للطاعة

(١) كذا في الاصل ويوضح معناه الرواية الاخرى بعده

فأما الاصوات بالنغمات المحدثة المركبة على الاوزان والاوضاع الملهية والقانون الموسيقائي فالقرآن ينزه عن هذا ويُجل ويعظم أن يُسلك في أدائه هذا المذهب . وقد جاءت السنة بالزجر عن ذلك كما قال الامام العلم أبو عبيد القاسم ابن سلام رحمه الله حدثنا نعيم بن حماد عن بقية بن الوليد عن حصين بن مالك الفزاري قال سمعت شيخا يكنى أبا محمد يحدث عن حذيفة بن اليمان قال قال رسول الله ﷺ « اقرؤا القرآن بلحون العرب واصواتها ، وإياكم ولحون أهل الفسق وأهل الكتابين ، وسيجيء قوم من بعدي يرجعون بالقرآن ترجيع الغناء والرهبانية والنوح ، لايجاوز حناجرهم ، مفتونة قلوبهم وقلوب الذين يعجبهم شأنهم » وحدثنا يزيد عن شريك عن أبي اليقظان عثمان بن عمير عن زاذان أبي عمر عن عليم قال : كنا على سطح ومعنا رجل من أصحاب النبي ﷺ قال يزيد لا اعلمه إلا قال عابس الغفاري فرأى الناس يخرجون في الطاعون قال ما هؤلاء ؟ قال يفرون من الطاعون فقال ياطاعون خذني فقالوا أتتمنى الموت وقد سمعت رسول

الله ﷺ يقول « لا يتمنين أحدكم الموت »؟ فقال إني أبادر خصالا سمعت رسول الله (ص) يتخوفهن على أمته - بيع الحكم والا (١) بالدم وقطيعة الرحم وقوم يتخذون القرآن مزامير، يقدمون أحدهم ليس بافقههم ولا افضلهم إلا ليغنيهم به غناء، وذكر خلتين آخرتين

وحدثنا يعقوب بن ابراهيم عن ليث بن أبي سليم عن عثمان بن عمير عن زاذان عن عابس الغفاري عن النبي (ص) مثل ذلك أو نحوه، وحدثنا يعقوب عن ابراهيم عن الاعمش عن رجل عن أنس أنه سمع رجلا يقرأ القرآن بهذه الالحان التي احدث الناس فانكر ذلك ونهى عنه. وهذه طرق حسنة في باب الترهيب (٢)

---

(١) موضع البياض مقطوع من الاصل (٢) معنى هذه الروايات صحيح ولكن لا يصح سند شيء منها وحسنها المؤلف بتأييد بعضها لبعض على القاعدة عند المحدثين. والمعنى الجامع أن قراءة القرآن بالنغم المحمودة شرعا هي ما تكون به القراءة أشد تأثيراً في النفس وخشوعا في القلب واعتباراً في العقل. وان المحظور منها التطريب المتكلف الذي يشغل السامع بلذة الصوت وحسن النظم عن المعنى المراد والخشوع المطلوب، وما من أحد سمع قراءة المجودين أولي الاصوات

وهذا يدل على أنه محذور كبير وهو قراءة القرآن

الحسنة الا وشعر بالتأثير العظيم في قلبه بقراءتهم

والسبب في تأويل التغني بالقرآن وكراهة بعض العلماء له أن الغناء صار شعار أهل اللهو والمسرفين في الشهوات ، ولذلك حرم المتشددون من الفقهاء الغناء والمعازف مطلقا مع العلم بأن مزامير نبي الله داود أنزلت لاجل الترنم بها وكانت الطير تحشر وتجتمع لصوته ترجع ترنيمه بتسبيح الله تعالى كما قال تعالى (والطير محشورة كل له أواب) وقد عهد اقبال الطير على سماع المغنين الحسني الصوت كالبلبل والهزار في كل عصر بل نقل علماء الحيوان والتجارب أن بعض الحشرات كالنحل ترقص لسماع الصوت الحسن ، وأن بعضهم رأى حية ترقص عند سماع الغناء. وكان داود عليه السلام يسبح الله ويترنم له بزبوره على آلات الطرب والمعازف الوترية وغيرها، ولا يوجد في كتب أنبياء بني اسرائيل شيء من الصلوات والتسبيح للرب والثناء عليه كمزامير داود التي لم يطرأ عليها من التحريف مثل الذي طرأ على غيرها وجاء في آخرها الامر بذلك وإننا كثيراً ما رأينا بعض أدباء النصارى يرغبون في سماع القرآن من القراء المجودين ويعترفون بقوة تأثيره في القلوب ، وفي الصحيح أن المشركين كانوا يؤذون أبا بكر (رض) ويمنعونه من الصلاة في المسجد الحرام ثم حاولوا منعه من رفع صوته بالقرآن في بيته لما رأوا من اقبال الناس ولا سيما النساء والاولاد المدركين عليه وتأثير قراءته في أنفسهم

وقد أدرك بعض علماء الافرنج ما كان لتلاوة رسول الله (ص)

بالألحان التي يسلك بها مذاهب الغناء ، وقد نص الائمة رحمهم

للقرآن من التأثير العظيم في جذب العرب الى الاسلام واعترف بأنه كان أشد تأثيراً من جميع معجزات الانبياء في هداية الناس

وإننا لاستيفاء مباحث هذه المسألة التي تتم بها فائدة هذا الكتاب نذكر هنا ما أورده الحافظ ابن حجر في شرحه لهذا الحديث من فتح الباري فقد جمع ماقاله جميع العلماء في تأويل التغني في بيتين من نظمه ثم قفى عليهما بخلاصة أقوال أشهر فقهاء المذاهب أما البيتان فهما قوله:

تغن بالقرآن حسن به الصـــوت حزينا جاهرا ثم
واستغن عن كتب الألى طالباً غنى يد والنفس ثم الزم

(ثم قال) وسيأتي ما يتعلق بحسن الصوت بالقرآن في ترجمة مفردة ولا شك أن النفوس تميل الى سماع القراءة بالترنم أكثر من ميلها لمن لا يترنم لان للتطريب تأثيرا في رقة القلب وإجراء الدمع وكان بين السلف اختلاف في جواز القرآن بالالحان

أما تحسين الصوت وتقديم حسن الصوت على غيره فلا نزاع في ذلك ، فحكى عبد الوهاب المالكي عن مالك تحريم القراءة بالالحان ، وحكاه أبو الطيب الطبري والماوردي وابن حمدان الحنبلي عن جماعة من أهل العلم

وحكى ابن بطال وعياض والقرطبي من المالكية والماوردي والبندنيجي والغزالي من الشافعية وصاحب الذخيرة من الحنفية الكراهة واختاره أبو يعلى وابن عقيل من الحنابلة

الله على النهي عنه ، فأما ان خرج به الى التمطيط الفاحش

وحكى ابن بطال عن جماعة من الصحابة والتابعين الجواز وهو المنصوص للشافعي ونقله الطحاوي عن الحنفية ، وقال الفوراني من الشافعية في الابانة يجوز بل يستحب وعلى هذا الاختلاف إذا لم تختل بشيء من الحروف عن مخرجه فلو تغير قال النووي في التبيان أجمعوا على تحريمه ، ولفظه أجمع العلماء على استحباب تحسين الصوت بالقرآن مالم يخرج عن حد القراءة بالتمطيط فان خرج حتى زاد حرفا أو أخفاه حرم قال واما القراءة بالالحان فقد نص الشافعي في موضع على كراهته وقال في موضع آخر لا بأس به فقال اصحابه ليس على اختلاف قولين بل على اختلاف حالين فان لم يخرج بالالحان عن المنهج القويم جاز والا حرم

وحكى الماوردي عن الشافعي ان القراءة بالالحان اذا انتهت إلى إخراج بعض الالفاظ عن مخارجها حرم ، وكذا حكى ابن حمدان الحنبلي في الرعاية وقال الغزالي والبغدنيجي وصاحب الذخيرة من الحنفية: إن لم يفرط في التمطيط الذي يشوش النظم استحب والا فلا

واغرب الرافعي فحكى عن امالي السرخسي انه لا يضر التمطيط مطلقا وحكاه ابن حمدان رواية عن الحنابلة وهذا شذوذ لا يعرج عليه، والذي يتحصل من الادلة ان حسن الصوت بالقرآن مطلوب فان لم يكن حسناً فليحسنه ما استطاع كما قال ابن ابي مليكة احد رواة الحديث

وقد اخرج ذلك عنه ابو داود باسناد صحيح ، ومن جملة تحسينه

الذى يزيد بسببه حرفا أو ينقص حرفا فقد اتفق العلماء على تحريمه والله أعلم

وقال الحافظ أبو بكر البزار ثنا محمد بن معمر ثنا روح ثنا عبيد الله بن الاخنس عن ابن أبي مليكة عن ابن عباس قال قال رسول الله (ص) « ليس منا من لم يتغن بالقرآن » ثم قال ولنا ماذكرناه لانهم اختلفوا على ابن أبي مليكة فيه فرواه عبد الجبار بن الورد عنه عن ابن أبي مليكة عن أبي لبابة ورواه عمرو بن دينار والليث عنه عن ابن أبي نهيك عن سعد، ورواه عمرو بن سفيان عنه عن عائشة ورواه نافع مولى ابن عمر عنه عن ابن الزبير

ان تراعى فيه قوانين النغم فان الحسن الصوت يزداد حسنا بذلك ، وإن خرج عنها اثر ذلك في حسنه، وغير الحسن ربما انجبر بمراعاتها مالم يخرج عن شرط الاداء المعتبر عند اهل القراءات، فان خرج عنها لم يف تحسين الصوت بقبح الاداء ولعل هذا مستند من كره القراءة بالانغام لان الغالب على من راعى الانغام ان لا يراعي الاداء فان وجد من يراعيهما معاً فلا شك في انه ارجح من غيره لانه يأتي بالمطلوب من تحسين الصوت ويجتنب الممنوع من حرمة الاداء والله اعلم اه

﴿ اغتباط صاحب القرآن ﴾ (١)

حدثنا أبو اليمان أنا شعيب عن الزهري حدثني سالم بن عبد الله أن عبد الله بن عمر قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « لا حسد إلا على اثنتين: رجل آتاه الله الكتاب فهو يقوم به آناء الليل والنهار، ورجل أعطاه الله مالا فهو يتصدق به آناء الليل والنهار »

انفرد به البخاري من هذا الوجه واتفقا على اخراجه من رواية سفيان عن الزهري

ثم قال البخاري ثنا علي بن ابراهيم ثنا روح ثنا شعبة عن سليمان قال سمعت ذكوان عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « لا حسد إلا في اثنتين: رجل علمه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل والنهار فسمعه جار له فقال ليتني أوتيت ما أوتي فلان فعملت مثل مايعمل، ورجل آتاه الله مالا فهو يهلكه في الحق فقال رجل ليتني أوتيت مثل ما أوتي فلان فعملت مثل مايعمل »

(١) في البخاري زيادة باب كما سبق في أمثاله

ومضمون هذين الحديثين أن صاحب القرآن في غبطة وهي حسن الحال فينبغي أن يكون شديد الاغتباط بما هو فيه ، ويستحب تغبيطه بذلك ، يقال غبطه يغبطه بالكسر غبطا اذا تمنى مثل ماهو فيه من النعمة ، وهذا بخلاف الحسد المذموم ، وهو تمني زوال نعمة المحسود عنه سواء حصلت لذلك الحاسد أولا ، وهذا مذموم شرعا مهلك ، وهو أول معاصي ابليس حين حسد آدم ماصنحه الله تعالى من الكرامة والاحترام والاعظام . والحسد الشرعي الممدوح هو تمني حال مثل ذلك الذي هو على حالة سارة ، ولهذا قال عليه السلام « لاحسد إلا في اثنتين » فذكر النعمة القاصرة وهو تلاوة القرآن آناء الليل والنهار و النعمة المتعدية وهي انفاق المال بالليل والنهار كما قال تعالى (إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور)

وقد روي نحو هذا من وجه آخر فقال عبد الله بن الامام أحمد وجدت في كتاب أبي بخط يده : كتب إلي أبو توبة الربيع بن نافع فكان في كتابه حدثنا الهيثم بن حميد عن زيد بن

واقد عن سليم بن موسى عن كثير بن مرة عن يزيد بن الاخنس أن رسول الله (ص) قال « لاتنافس بينكم إلا في اثنتين : رجل أعطاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل والنهار ، ويقيم مافيه فيقول رجل لو أن الله أعطاني مثل ما اعطى فلانا فأقوم به كما يقوم به ، ورجل اعطاه الله مالا فهو ينفق ويتصدق فيقول رجل لو أن الله أعطاني مثل ما أعطى فلانا فأتصدق به » وقريب من هذا ماقال الامام أحمد : ثنا عبدالله بن نمير ثنا عبادة بن مسلم وحدثني يونس بن حباب عن سعيد أبي البحترى الطائي عن أبي كبشة قال سمعت رسول الله (ص) يقول « ثلاث أقسم عليهن وأحدثكم حديثا فاحفظوه ، فاما الثلاث التي اقسم عليهن فانه مانقص مال عبد من صدقة ، ولا ظلم أحد مظلمة فيصبر عليها إلا زاده الله بها عزاً ، ولا يفتح عبد باب مسئلة إلا فتح الله له باب فقر — وأما الذى احدثكم حديثا فاحفظوه فانه قال ـ إنما الدنيا لأربعة نفر: عبد رزقه الله مالا وعلما فهو يتقي فيه ربه ويصل رحمه ويعلم فيه حقه ـ قال ـ فهذا بأفضل المنازل ،

وعبد رزقه الله علما ولم يرزقه مالا فهو يقول لو كان لي مال عملت بعمل فلان — قال — فاجرهما سواء ، وعبد رزقه الله مالا ولم يرزقه علما فهو يخبط في ماله بغير علم ، لا يتقي فيه ربه ، ولا يصل فيه رحمه ، ولا يعلم لله فيه حقه ، فهذا بأخبث المنازل ، وعبد لم يرزقه الله مالا ولا علما فهو يقول لو كان لي مال لعملت بعمل فلان — قال — هي نيته فوزرهما فيه سواء »

وقال أيضا حدثنا وكيع ثنا الاعمش عن سالم بن أبي الجعد عن أبي كبشة الانماري قال قال رسول الله ﷺ « مثل هذه الامة مثل أربعة نفر : رجل آتاه الله مالا وعلما فهو يعمل به في ماله ينفقه في حقه ، ورجل آتاه الله علما ولم يؤته مالا فهو يقول لو كان لي مثل هذا عملت فيه مثل الذي يعمل — قال قال رسول الله — فهما في الأجر سواء ، ورجل آتاه الله مالا ولم يؤته علما فهو يخبط فيه ينفقه في غير حقه ، ورجل لم يؤته الله مالا ولا علما فهو يقول لو كان لي مثل مال هذا عملت فيه مثل الذي يعمل — قال قال رسول الله — فهما في الوزر سواء » اسناد صحيح ولله الحمد والمنة

﴿ خيركم من تعلم القرآن وعلّمه ﴾ (١)

حدثنا حجاج بن منهال ثنا شعبة أخبرني علقمة بن مرثد سمعت سعد بن عبيدة عن أبي عبد الرحمن عن عثمان بن عفان رضي الله عنه عن النبي (ص) قال « خيركم من تعلم القرآن وعلّمه » وأقرأ أبو عبد الرحمن في إمرة عثمان رضي الله عنه حتى كان الحجاج ، قال وذلك الذي أقعدني مقعدي هذا .

وقد أخرج الجماعة هذا الحديث سوى مسلم من رواية شعبة عن علقمة بن مرثد عن سعد بن عبيدة عن أبي عبد الرحمن وهو عبد الله بن حبيب السلمي رحمه الله

وحدثنا أبو نعيم ثنا سفيان عن علقمة بن مرثد عن أبي عبد الرحمن السلمي عن عثمان ابن عفان رضي الله عنه قال: قال النبي (ص) « ان أفضلكم من تعلم القرآن وعلّمه » وهكذا رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه من طرق عن سفيان عن علقمة عن أبي عبد الرحمن من غير ذكر سعد بن عبيدة ، كما رواه شعبة ولم يختلف عليه فيه ، وهذا المقام مما حكم لسفيان

(١) في البخاري (باب خيركم) الخ

الثوري فيه على شعبة . وخطأ بندار يحيى بن سعيد في رواية ذلك عن سفيان عن علقمة عن سعد بن عبيدة عن أبي عبد الرحمن وقال رواه الجماعة من أصحاب سفيان عنه باسقاط سعد بن عبيدة ورواية سفيان أصح . وفي هذا المقام المتعلق بصناعة الاسناد طول لولا الملالة لذكرناه . وفيما ذكر كفاية وارشاد إلى ما ترك ، والله أعلم

والغرض أنه عليه الصلاة والسلام قال «خيركم من تعلم القرآن وعلّمه » وهذه صفات المؤمنين المتبعين للرسل وهم الكمل في أنفسهم المكملين لغيرهم ، وذلك جمع بين النفع القاصر والمتعدي ، وهذا بخلاف صفة الكفار الجبارين الذين لا ينفعون ولا يتركون أحداً ممن أمكنهم أن ينتفع كما قال تعالى (الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب) وكما قال تعالى (وهم ينهون عنه وينأون عنه) في أصح قولي المفسرين في هذا هو أنهم ينهون الناس عن اتباع القرآن مع نأيهم وبعدهم عنه أيضاً فجمعوا بين التكذيب والصد كما قال تعالى (فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها)

فهذا شأن شرار الكفار ، كما أن شأن الاخيار الابرار أن يتكمل في نفسه وأن يسعى في تكميل غيره كما قال عليه السلام « خيركم من تعلم القرآن وعلّمه » وكما قال تعالى (ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال انني من المسلمين) فجمع بين الدعوة إلى الله سواء كان بالاذان أو بغيره من أنواع الدعوة إلى الله تعالى من تعليم القرآن والحديث والفقه وغير ذلك مما يبتغى به وجه الله ، وعمل هو في نفسه صالحا وقال قولا صالحا أيضا فلا أحد أحسن حالا من هذا .

وقد كان أبو عبد الرحمن عبد الله بن حبيب السلمي الكوفي أحد أئمة الاسلام ومشايخهم ممن رغب في هذا المقام فقعد يعلم الناس من إمارة عثمان الى أيام الحجاج قالوا وكان مقدار ذلك الذي مكث يعلم فيه القرآن سبعين سنة رحمه الله وأثابه وآتاه ماطلبه ورامه آمين

قال البخاري حدثنا عمرو بن عون ثنا حماد بن أبي حازم عن سهل بن سعد قال : أتت النبي (ص) امرأة فقالت انها قد وهبت نفسها لله ولرسوله فقال « مالي في النساء من حاجة »

فقال رجل زوجنيها ؟ قال « أعطها ثوبا » قال لا أجد قال « أعطها ولو خاتما من حديد » فاعتل له فقال « ما معك من القرآن ؟ » قال كذا وكذا فقال « قد زوجتكها بما معك من القرآن » وهذا الحديث متفق على صحة اخراجه من طرق عديدة ، والغرض منه الذي قصده البخاري أن هذا الرجل تعلم الذي تعلمه من القرآن وأمره النبي (ص) أن يعلم تلك المرأة ويكون ذلك صداقا لها على ذلك . وهذا فيه نزاع بين العلماء هل يجوز أن يجعل صداقا ؟ أو هل يجوز أخذ الأجرة على تعليم القرآن ؟ وهل هذا كان خاصا بذلك الرجل ؟ وما معنى قوله عليه السلام « زوجتكها بما معك من القرآن » أي بسبب ما معك كما قاله أحمد بن حنبل : نكرمك بذلك أو بعوض ما معك ، وهذا أقوى لقوله في صحيح مسلم « فعلمها » وهذا هو الذي أراده البخاري ههنا وتحرير باقي الخلاف مذكور في باب النكاح والاجارات وبالله المستعان

﴿ القراءة عن ظهر قلب ﴾ (١)

انما أورد البخاري في هذه الترجمة حديث أبي حازم بن سهل بن سعد الحديث الذي تقدم الآن وفيه أنه عليه السلام قال للرجل « فما معك من القرآن ؟ » قال معي سورة كذا وسورة كذا لسور عدها قال « أتقرأهن عن ظهر قلب؟» قال نعم قال «اذهب فقد ملكتكها بما معك من القرآن » وهذه الترجمة من البخاري رحمه الله مشعرة بأن قراءة القرآن عن ظهر قلب أفضل والله أعلم . ولكن الذي صرح به كثيرون من العلماء أن قراءة القرآن من المصحف أفضل لانه يشتمل على التلاوة والنظر في المصحف وهو عبادة كما صرح به غير واحد من السلف وكرهوا أن يمضي على الرجل يوم لا ينظر في مصحفه

واستدلوا على أفضلية التلاوة في المصحف بما رواه الامام العلم ابو عبيد رحمه الله في كتابه (فضائل القرآن)

---

(١) في البخاري زيادة كلمة باب كنظائره ولا نعيد التنبيه لهذا بعد فقد صار معلوما باطراد

حدثنا نعيم بن حماد عن بقية بن الوليد عن معاوية بن يحيى عن سليم بن مسلم عن عبد الله بن عبد الرحمن عن بعض اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال قال النبي صلى الله عليه وسلم « فضل قراءة القرآن نظراً على من يقرؤه ظهرا كفضل الفريضة على النافلة » وهذا الاسناد فيه ضعف فان معاوية بن يحيى هذا هو الصدفي أو الأطرابلسي وأيًّا ما كان فهو ضعيف . وقال الثوري عن عاصم عن زر عن ابن مسعود قال أديموا النظر في المصحف . وقال حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن يوسف ابن ماهك عن ابن عباس عن عمر أنه كان إذا دخل بيته نشر المصحف فقرأ فيه . وقال حماد أيضا عن ثابت عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن ابن مسعود أنه كان اذا اجتمع اليه اخوانه نشروا المصحف فقرأ أو فسر لهم . اسناد صحيح وقال حماد بن سلمة عن حجاج بن أرطاة عن ثوير بن أبي فاختة عن ابن عمر قال اذا رجع أحدكم من سوقه فلينشر المصحف وليقرأ . وقال الاعمش عن خيثمة دخلت على ابن عمر وهو يقرأ في المصحف فقال هذا جزئي الذي أقرأ به الليلة

فهذه الآثار تدل على أن هذا أمر مطلوب لئلا يعطل المصحف فلا يقرأ منه (١) ولعله قد يقع لبعض الحفظة نسيان فيستذكر منه ، أو تحريف كلمة أو آية أو تقديم أو تأخير فالاستثبات أولى والرجوع الى المصحف أثبت من افواه الرجال.

فأما تلقين القرآن فمن فم الملقن أحسن لان الكتابة لا تدل على الاداء كما أن المشاهد من كثير ممن يحفظ من الكتابة فقط يكثر تصحيفه وغلطه واذا أدى الحال الى هذا منع منه اذا وجد شيخا يوقفه على ألفاظ القرآن . فأما عند العجز عما يلقن فلا يكلف الله نفسا إلا وسعها ، فيجوز عند الضرورة مالا يجوز عند الرفاهية ، فاذا قرأ في المصحف والحالة هذه فلا حرج عليه ولو فرض أنه قد يحرف بعض الكلمات عن لفظها على لغته ولفظه ، فقد قال الامام أبو عبيد حدثني هشام بن اسماعيل الدمشقي عن محمد بن شعيب عن الاوزاعي أن رجلا صحبهم في سفر قال فحدثنا حديثا ما أعلمه الا رفعه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « ان العبد اذا قرأ

(١) وتدل أيضا على ماكان من كثرة المصاحف عند الصحابة (رض) وهو مايجهله كثير من الناس

فحرف أو أخطأ كتبه الملك كما أنزل» وحدثنا حفص بن ابي غياث عن الشيباني عن بكير بن الاخنس قال كان يقال اذا قرأ الاعجمي والذي لا يقيم القرآن كتبه الملك كما أنزل.

وقال بعض العلماء المدار في هذه المسئلة على الخشوع فان كان الخشوع أكثر عند القراءة عن ظهر قلب فهو أفضل وإن كان عند النظر في المصحف أكثر فهو أفضل. فان استويا فالقراءة نظراً أولى لانها أثبت وتمتاز بالنظر الى المصحف. قال الشيخ أبو زكريا النواوى رحمه الله في التبيان: والظاهر أن كلام السلف وفعلهم محمول على هذا التفصيل

تنبيه

إن كان البخاري رحمه الله أراد بذكره حديث سهل الدلالة على ان تلاوة القرآن عن ظهر قلب أفضل منها في المصحف ففيه نظر(١) لانها قضية عين فيحتمل أن ذلك الرجل

(١) هذه الشرطية لا وجه لها فموضوع الحديث الحفظ التام لما معه من القرآن بحيث يستطيع قراءته عن ظهر قلب وليس فيه أدنى إشارة الى تفضيل هذه القراءة على غيرها ولا إلى مقابله. وحفظ

كان لايحسن الكتابة ويعلم ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم منه فلا يدل على أن التلاوة عن ظهر قلب أفضل مطلقا في حق من يحسن ومن لايحسن إذ لو دل على هذا لكان ذكر حال رسول الله وتلاوته عن ظهر قلب — لانه أمي لايدري الكتابة — أولى من ذكر هذا الحديث بمفرده. الثاني ان سياق الحديث إنما هو لاجل استثبات أنه يحفظ تلك السور عن ظهر قلب ليمكنه تعليمها لزوجته، وليس المراد ههنا ان هذا أفضل من التلاوة نظراً ولا عدمه والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ استذكار القرآن وتعاهده ﴾

حدثنا عبدالله بن يوسف انا مالك عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « انما مثل صاحب القرآن كمثل صاحب الابل المعقلة. إن عاهد عليها أمسكها. وان أطلقها ذهبت »

القرآن أمر عظيم وله مزايا من أعظمها فائدة تمكن الحافظ من التلاوة في الاوقات والحالات التي لايتمكن فيها من نظر المصحف أو لايجده فيها وهي كثيرة

هكذا رواه مسلم والنسائي من حديث مالك به.

وقال الامام احمد ثنا عبد الرزاق أنا معمر عن ايوب عن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مثل القرآن اذا عاهد عليه صاحبه فقرأه بالليل والنهار كمثل رجل له إبل فان عقلها حفظها وإن اطلق عقالها ذهبت فكذلك صاحب القرآن » أخرجاه، قاله ابن الجوزي في جامع المسانيد وانما هو من افراد مسلم من حديث عبد الرازق به

(١) حدثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة عن منصور عن أبي وائل عن عبد الله قال قال النبي صلى الله عليه وسلم « بئس ما لاحدهم أن يقول نسيت آية كيت وكيت بل نُسّي، واستذكروا القرآن فانه أشد تفصيا من صدور الرجال من النعم »

تابعه بشر هو ابن محمد السختياني عن ابن المبارك عن شعبة وقد رواه الترمذي عن محمود بن غيلان عن أبي داود الطيالسي عن شعبة به وقال حسن صحيح

---

(١) هذا هو الحديث الثاني في الباب عند البخاري. ولولا رضمنا له في أول السطر لظن الكثيرون أنه لعبد الرزاق

وأخرجه النسائي من رواية شعبة وحدثنا عثمان بن جرير عن منصور مثله. وهكذا رواه مسلم عن عثمان وزهير بن حرب واسحاق بن ابراهيم عن جرير به، وستأتي رواية البخاري له عن أبي نعيم عن سفيان الثوري عن منصور به، والنسائي من رواية ابن عيينة عن منصور به فقد رواه هؤلاء عن منصور به مرفوعا في رواية هؤلاء كلهم وقد رواه النسائي عن قتيبة عن حماد بن زيد عن منصور عن أبي وائل عن عبدالله موقوفا وهذا غريب. وفي مسند أبي يعلى «فانما هو نسي» بالتخفيف وتابعه ابن جريج عن عبدة عن شقيق قال سمعت عبد الله قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم، وهكذا أسنده مسلم من حديث ابن جريج به. ورواه النسائي في اليوم والليلة من حديث محمد بن جحادة عن عبدة وهو ابن أبي لبابة به حدثنا محمد بن العلاء حدثنا أبو اسامة عن يزيد عن أبي بردة عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «تعاهدوا القرآن فو الذي نفسي بيده لهو أشد تفصيا من الابل في عقلها»

وهكذا رواه مسلم عن أبي كريب محمد بن العلاء وعبدالله

ابن براد الاشعري كلاهما عن أبي أسامة حماد بن أسامة به

وقال الامام احمد ثنا علي بن اسحاق أنا عبد الله بن المبارك أنا موسى بن علي سمعت أبي يقول سمعت عقبة بن عامر يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تعلموا كتاب الله وتعاهدوه وتغنوا به ، فوالذي نفسي بيده لهو أشد تفلتا من المخاض في العقل »

ومضمون هذه الاحاديث الترغيب في كثرة تلاوة القرآن واستذكاره وتعاهده لئلا يعرضه حافظه للنسيان فان ذلك خطأ كبير نسأل الله العافية منه ، فانه قال الامام احمد حدثنا خلف بن الوليد ثنا خالد عن يزيد بن أبي زياد عن عيسى بن فايد عن رجل عن سعد بن عبادة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما من أمير عشرة إلا يؤتى به يوم القيامة مغلولا لا يفكه من ذلك الغل إلا العدل » وهكذا رواه جرير بن عبد الحميد ومحمد بن فضيل عن يزيد ابن أبي زياد كما رواه خالد بن عبد الله، وقد أخرجه أبو داود عن محمد بن العلاء عن ابن ادريس عن يزيد بن ابي زياد عن

عيسى بن فايد عن سعد بن عبادة عن النبي صلى الله عليه وسلم بقصة نسيان القرآن ولم يذكر الرجل المبهم ، وكذا رواه أبو بكر بن عياش عن يزيد بن أبي زياد ، وقد رواه سعيد عن زيد ووهم في اسناده ، ورواه وكيع عن اصحابه عن زيد بن عيسى بن فايد عن النبي (ص) مرسلا ، وقد رواه الامام أحمد في مسند عبادة بن الصامت فقال : ثنا عبد الصمد ثنا عبد العزيز ابن مسلم ثنا يزيد بن أبي زياد عن عيسى بن فايد عن عبادة بن الصامت قال قال رسول الله (ص) «ما من أمير عشرة إلا يؤتى به يوم القيامة مغلولا لا يفكه منها إلا عدله ، وما من رجل تعلم القرآن ثم نسيه إلا لقي الله يوم القيامة أجذم » وكذا رواه ابو عوانة عن يزيد بن أبي زياد فيه اختلاف لكن هذا في باب الترهيب مقبول والله أعلم ، لا سيما ان كان له شاهد من وجه آخر كما قال أبو عبيد ثنا حجاج عن ابن جريج قال حدثت عن أنس بن مالك قال قال رسول الله (ص) « عرضت علي أجور أمتي حتى القذاة والبعرة يخرجها الرجل من المسجد ، وعرضت علي ذنوب أمتي فلم أر ذنبا

أكبر من آية أو سورة من كتاب الله أوتيها رجل فنسيها » قال ابن جريج وحدثت عن سلمان الفارسي قال قال رسول الله (ص) « من أكبر ذنوب توافى به أمتي يوم القيامة سورة من كتاب الله كانت مع احدهم فنسيها » وقد روى ابو داود والترمذي وابو يعلى والبزار وغيرهم من حديث ابن أبي داود عن ابن جريج عن المطلب بن عبد الله بن حنطب عن أنس بن مالك قال قال رسول الله (ص) «عرضت علي اجور أمتي حتى القذاة يخرجها الرجل من المسجد ، وعرضت علي ذنوب أمتي فلم أر ذنبا اعظم من سورة من القرآن او آية أوتيها رجل ثم نسيها » قال الترمذي غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه وذاكرت به البخاري فاستغربه

وحكى الوالبي عن عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي انه انكر سماع المطلب من أنس بن مالك (قلت) وقد رواه محمد ابن يزيد الآدمي عن ابن أبي داود عن ابن جريج عن الزهري عن أنس عن النبي (ص) به فالله أعلم .

وقد ادخل بعض المفسرين هذا المعنى في قوله تعالى

(ومن اعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى *قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً ؟ قال كذلك اتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى) وهذا الذي قاله هذا وان لم يكن هو المراد جميعه فهو بعضه ، فان الاعراض عن تلاوة القرآن وتعريضه للنسيان وعدم الاعتناء به فيه تهاون كبير وتفريط شديد نعوذ بالله منه ، ولهذا قال عليه السلام « تعاهدوا القرآن » وفي لفظ « استذكروا القرآن فانه اشد تفصيا من صدور الرجال من النعم » التفصي التخلص يقال تفصى فلان من البلية اذا تخلص منها ، ومنه تفصى النوى من التمرة إذا تخلص منها أي ان القرآن اشد تفلتا من الصدور من النعم إذا ارسلت من غير عقال .

وقال ابو عبيد ثنا ابو معاوية عن الاعمش عن ابراهيم قال قال عبد الله — يعني ابن مسعود — إني لأميت القارىء أن أراه سمينا نسيا للقرآن . وحديث عبد الله بن المبارك عن عبد العزيز ابن أبي داود قال سمعت الضحاك بن مزاحم يقول ما من احد تعلم القرآن فنسيه إلا بذنب يحدثه لان الله تعالى

يقول (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم) وان نسيان القرآن من أعظم المصائب. ولهذا قال اسحاق بن راهويه وغيره يكره للرجل ان يمر عليه اربعون يوما لا يقرأ فيها القرآن كما انه يكره له ان يقرأه في اقل من ثلاثة ايام كما سيأتي هذا حيث يذكره البخاري بعد هذا وكان الاليق ان يتبعه هذا الباب ولكن ذكر بعد هذا قوله

القراءة على الدابة

حدثنا حجاج أنا شعبة انا ابو إياس قال سمعت عبد الله ابن مغفل رضى الله عنه قال رأيت رسول الله (ص) يوم فتح مكة وهو يقرأ على راحلته سورة الفتح ،

وهذا الحديث قد خرجه الجماعة سوى ابن ماجه من طرق عن شعبة عن أبي إياس وهو معاوية بن قرة به ، وهذا أيضا له تعلق بما تقدم من تعاهد القرآن وتلاوته سفراً وحضراً ، ولا يكره ذلك عند أكثر العلماء اذا لم يلته القارىء في الطريق ، وقد نقله ابن أبي داود عن أبي الدرداء انه كان يقرأ في الطريق ، وقد روي عن عمر بن عبد العزيز انه أذن في ذلك ، وعن

الامام مالك انه كره ذلك كما قال ابن أبي داود حدثني أبو الربيع أنا ابن وهب قال سألت مالكا عن الرجل يصلي من آخر الليل فخرج الى المسجد وقد بقي من السورة التي كان يقرأ منها شيء فقال ما اعلم القراءة تكون في الطريق، وقال الشعبي تكره قراءة القرآن في ثلاثة مواضع في الحمام وفي الحشوش وفي بيت الرحى وهي تدور، وخالفه في القراءة في الحمام كثير من السلف انها لا تكره وهو مذهب مالك والشافعي وابراهيم النخعي وغيرهم، وروى ابن أبي داود عن علي بن أبي طالب انه كره ذلك ونقله ابن المنذر عن أبي وائل شقيق بن سلمة والشعبي والحسن البصري ومكحول وقبيصة ابن ذؤيب وهو رواية عن ابراهيم النخعي

ويحكى عن أبي حنيفة رحمه الله أن القراءة في الحمام تكره، وأما القراءة في الحش فكراهتها ظاهرة ولو قيل بتحريم ذلك صيانة لشرف القرآن لكان مذهبا. وأما القراءة في بيت الرحى وهي تدور فمثلا لا يعلو غير القرآن عليه والحق يعلو ولا يعلى والله أعلم

تعلم الصبيان القرآن

حدثنا موسى بن اسماعيل ثنا أبو عوانة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير قال ان الذي تدعونه المفصل هو المحكم قال وقال ابن عباس توفي رسول الله (ص) وأنا ابن عشر سنين وقد قرأت المحكم ، حدثنا يعقوب بن ابراهيم ثنا هشيم أنا أبو بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال جمعت المحكم في عهد النبي (ص) فقلت له وما المحكم ؟ قال المفصل

انفرد باخراجه البخاري ، وفيه دلالة على جواز تعلم الصبيان القرآن لان ابن عباس اخبر عن سنه حين موت رسول الله (ص) وقد كان جمع المفصل وهو من الحجرات كما تقدم ذلك وعمره اذ ذاك عشر سنين

وقد روى البخاري انه قال توفي رسول الله (ص) وأنا مختون وكانوا لا يختنون حتى يحتلم فيحتمل أنه احتلم لعشر سنين جمعا بين هذه الرواية وتلك ويحتمل انه تجوز في هذه الرواية بذكر العشر وترك ما زاد عليها من الكسر والله اعلم

وعلى كل تقدير ففيه دلالة على جواز تعليم القرآن في الصبا وهو ظاهر بل قد يكون مستحبا أو واجبا لان الصبي اذا تعلم القرآن بلغ وهو يعرف مايصلي به، وحفظه في الصغر أولى من حفظه كبيرا وأشد علوقا بخاطره وأرسخ وأثبت كما هو المعهود من حال الناس

وقد استحب بعض السلف أن يترك الصبي في ابتداء عمره قليلا للعب ثم توفر همته على القراءة لئلا يلزم أولا بالقراءة فيملها ويعدل عنها الى اللعب، وكره بعضهم تعليمه القرآن وهو لا يعقل مايقال له ولكن يترك حتى اذا عقل وميز علم قليلا قليلا بحسب همته ونهمته وحفظه وجودة ذهنه. واستحب عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يلقن خمس آيات خمس آيات رويناه عنه بسند جيد

نسيان القرآن

﴿ وهل يقول نسيت آية كذا وكذا ﴾

وقول الله (سنقرئك فلا تنسى إلا ما شاء الله)

حدثنا الربيع بن يحيى ثنا زائدة ثنا هشام بن عروة عن عائشة قالت لقد سمع النبي (ص) رجلا يقرأ في المسجد فقال « رحمه الله لقد أذكرني آية كذا وكذا من سورة كذا » انفرد به ، وحدثنا محمد بن عبيد بن ميمون ثنا عيسى بن يونس عن هشام وقال « اسقطتهن من سورة كذا وكذا » انفرد به أيضا ، تابعه علي بن مسهر وعبدة عن هشام وقد اسندهما البخاري في موضع آخر ومسلم معه في عبدة .

حدثنا احمد بن أبي رجاء ثنا أبو أسامة عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت سمع رسول الله (ص) رجلا يقرأ في سورة بالليل فقال « يرحمه الله لقد أذكرني كذا وكذا آية كنت أنسيتها من سورة كذا وكذا » ورواه مسلم من

حديث أبي أسامة حماد بن أسامة (١)

(١) يستدل الفقهاء بمثل هذا على جواز النسيان على النبي ﷺ ولكن قيدوه إجماعا بما ليس سبيله التبليغ فلا يجوز نسيانه كما لا يجوز كتمانه ونتيجتهما واحدة وان كان حكمهما في الناس مختلفا من حيث يكون النسيان عن غير تقصير أمراً طبيعياً لا يؤاخذ صاحبه عليه. ولكن الله عصم رسله من نسيان ما أمرهم بتبليغه لئلا تبطل به حكمة الرسالة فيه، والراجح في قوله تعالى (فلا تنسى الا ما شاء الله) ان الاستثناء فيه منقطع لتأكيد النفي بمعنى أن النسيان لما نقرئك إياه ممتنع لا يمكن وقوعه منك بمقتضى الطبع كغيرك ولا في أي حال من الاحوال لكن إذا أراد الله وحده أن ينسيك شيئا فلا راد لمشيئته. وهذا لا يدل على وقوع هذه المشيئة فهو كقوله تعالى حكاية عن خليله ابراهيم (ص) في خطاب قومه المشركين (ولا أخاف ما تشركون به إلا أن يشاء ربي شيئا) الآية وفي معناه قول الفراء هو للتبرك وليس هنالك شيء استثني. وقيل المراد بالنسيان النفي العمل به وهو مجاز مستعمل فصيح والنسيان المذكور في الحديث موضوعه شيء كان وقع التبليغ به، والذي أراه أنه كان نسياناً عارضاً بحيث لو قرأ (ص) السورة بعده لقرأها تامة، وإلا كانت الرواية مردودة وان صح سندها عند البخاري فانه كغيره لم يكن يعلم من حال الرواة الا الظاهر وهو كاف في قبول روايتهم الا إذا عارضها مثل هذا المانع، وهو قد انفرد برواية هذا الحديث كما رأيت. ونسيان القرآن من الكبائر لما ورد فيه

(الحديث الثاني) حدثنا أبو نعيم ثنا سفيان عن منصور عن أبي وائل عن عبدالله رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بئس ما لأحدهم أن يقول نسيت كيت وكيت بل هو نسي »

ورواه مسلم والنسائي من حديث منصور به وقد تقدم وفي مسند أبي يعلى « إنما هو نسي » بالتخفيف هذا لفظه . وفي هذا الحديث والذي قبله دليل على أن حصول النسيان للشخص ليس بنقص له اذا كان بعد الاجتهاد والحرص

وفي حديث ابن مسعود ادب في التعبير عن حصول ذلك فلا يقول نسيت كذا فان النسيان ليس من فعل العبد ، وقد تصدر عنه اسبابه من التناسي والتغافل والتهاون المفضي الى ذلك ، فاما النسيان نفسه فليس بفعله ، ولهذا قال بل هو نسي مبني لما لم يسم فاعله ، وأدب أيضا في ترك اضافة ذلك الى الله تعالى وقد اسند النسيان الى العبد في قوله تعالى (واذكر ربك اذا نسيت) وهو والله اعلم من باب المجاز السائغ بذكر المسبب وارادة السبب لان النسيان انما يكون عن سبب قد

يكون ذنبا كما تقدم عن الضحاك بن مزاحم فأمر الله تعالى بذكره ليذهب الشيطان عن القلب كما يذهب عند النداء بالاذان ، والحسنة تذهب السيئة ، فاذا زال السبب للنسيان انزاح فحصل الذكر للشيء بسبب ذكر الله تعالى والله أعلم

﴿ من لم ير بأساً أن يقول سورة البقرة وسورة كذا وكذا ﴾

حدثنا عمر بن حفص بن غياث ثنا أبي ثنا الاعمش حدثني ابراهيم عن علقمة وعبد الرحمن بن يزيد عن أبي مسعود الانصاري قال : قال رسول الله (ص) « الآيتان من آخر سورة البقرة من قرأ بهما في ليلة كفتاه »

وهذا الحديث قد أخرجه الجماعة من حديث عبد الرحمن ابن يزيد وصاحبا الصحيح والنسائي وابن ماجه من حديث علقمة كلاهما عن أبي مسعود عتبة بن عمرو الانصاري البدري

﴿ الحديث الثاني ﴾ ماروا ه من حديث الزهري عن عروة عن المسور وعبد الرحمن بن عبد القاري كلاهما عن عمر قال سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ (سورة الفرقان)

وذكر الحديث بطوله كما تقدم وكما سيأتي (١)

﴿ الحديث الثالث ﴾ ما رواه من حديث هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة سمع رسول الله (ص) قارئا يقرأ من الليل في المسجد فقال « رحمه الله أذكرني كذا وكذا آية كنت أسقطتهن من سورة كذا وكذا »

وهكذا في الصحيحين عن ابن مسعود أنه كان يرمي الجمرة من الوادي ويقول هذا مقام الذي أنزلت عليه سورة البقرة .

وكره بعض السلف ذلك ولم يروا أن يقال إلا السورة التي يذكر فيها كذا وكذا كما جاء وتقدم من رواية يزيد الفارسي عن ابن عباس عن عثمان أنه قال اذا نزل من القرآن شيء يقول رسول الله (ص) « اجعلوا هذا في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا » ولا شك أن هذا أحوط وأولى ، ولكن قد صحت الاحاديث بالرخصة في الآخر وعليه عمل الناس اليوم في ترجمة السور في مصاحفهم وبالله التوفيق

---

(١) قوله : وذكر الحديث الخ من كلام المؤلف يعني وذكر البخاري الحديث بطوله

﴿ الترتيل في القراءة ﴾

وقوله عز وجل (ورتل القرآن ترتيلا - وقوله - وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث) وما يكره أن يهذ كهذ الشعر. (يفرق فيها) يفصل، قال ابن عباس (فرقناه) فصلناه.

حدثنا أبو النعمان ثنا مهدي بن ميمون ثنا واصل عن أبي وائل عن عبد الله قال غدونا على عبد الله فقال رجل قرأت المفصل البارحة فقال هذا كهذ الشعر انا قد سمعنا القراءة وإني لأحفظ القرناء اللاتي كان يقرأ بهن النبي (ص) ثماني عشرة سورة من المفصل وسورتين من آل حم (١)

ورواه مسلم عن شيبان بن فروخ عن مهدي بن ميمون عن واصل وهو ابن حيان الأحدب عن أبي وائل شقيق بن سلمة عن ابن مسعود به

وقال الامام أحمد ثنا قتيبة ثنا ابن لهيعة عن الحارث بن

---

(١) ويرسمها بعضهم هنا « حاميم » ويعني بالسورتين المضافتين الى المفصل هنا الدخان والتي تليها ويقال انها كانت كذلك في مصحف ابن مسعود والحديث تقدم

يزيد عن زياد بن نعيم عن مسلم ابن مخراق عن عائشة أنه ذكر لها أن ناساً يقرءون القرآن في الليل مرة أو مرتين ، فقالت أولئك قرأوا ولم يقرأوا : كنت أقوم مع النبي (ص) ليلة التمام فكان يقرأ سورة البقرة وآل عمران والنساء فلا يمر بآية فيها تخوف إلا دعا الله واستعاذ ، ولا يمر بآية فيها استبشار إلا دعا الله ورغب اليه .

﴿ الحديث الثاني ﴾ ثنا قتيبة ثنا جرير عن موسى بن أبي عائشة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى (لا تحرك به لسانك لتعجل به) كان رسول الله (ص) اذا نزل جبريل بالوحي كان مما يحرك به لسانه وشفتيه فيشتد عليه ، وذكر تمام الحديث كما سيأتي وهو متفق عليه ، وفيه وفي الذي قبله دليل على استحباب ترتيل القراءة والترسل فيها من غير هذرمة ولا بسرعة مفرطة بل بتأمل وتفكر قال الله تعالى (كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الالباب)

وقال الامام أحمد ثنا عبد الرحمن عن سفيان عن عاصم عن زر عن عبد الله بن عمر وعن النبي (ص) قال « يقال

لصاحب القرآن اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فان منزلك عند آخر آية تقرؤها »

وقال أبو عبيد ثنا جرير عن مغيرة عن ابراهيم قال : قرأ علقمة على عبد الله فكأنه عجل فقال عبد الله فداك أبي وأمي ، رتل فانه زين القرآن. قال وكان علقمة حسن الصوت بالقرآن . وحدثنا اسماعيل بن ابراهيم عن أيوب عن أبي حمزة قال قلت لابن عباس إني سريع القراءة واني أقرأ القرآن في ثلاث ، فقال لأن أقرأ البقرة في ليلة فأدبرها وأرتلها أحب إلي من أن أقرأ كما تقول . وحدثنا حجاج عن شعبة وحماد بن سلمة عن أبي حمزة عن ابن عباس نحو ذلك إلا أن في حديث حماد أحب إلي من أن اقرأ القرآن أجمع هذرمة

ثم قال البخاري رحمه الله

﴿ مد القراءة ﴾

حدثنا مسلم بن ابراهيم ثنا جرير بن حازم الازدي ثنا قتادة قال سألت أنس بن مالك عن قراءة النبي (ص) فقال كان يمد مداً . وهكذا رواه أهل السنن من حديث جرير بن حازم به

حدثنا عمرو بن عاصم ثنا همام عن قتادة قال سئل أنس بن مالك كيف كان قراءة النبي (ص) فقال كانت مداً ثم قرأ (بسم الله الرحمن الرحيم) يمد ببسم الله(١) ويمد بالرحمن ويمد بالرحيم

انفرد به البخاري من هذا الوجه . وفي معناه الحديث الذي رواه الامام أبو عبيد ثنا احمد بن عثمان عن عبد الله بن المبارك عن الليث بن سعد عن ابن أبي مليكة عن يعلى بن مملك عن أم سلمة أنها نعتت قراءة رسول الله (ص) مفسرة حرفا حرفا. وهكذا رواه الامام أحمد بن حنبل عن يحي بن اسحاق وأبو داود عن يزيد بن خالد الرملي والترمذي والنسائي كلاهما عن قتيبة كلهم عن الليث بن سعد به وقال الترمذي حسن صحيح

ثم قال أبو عبيد وحدثنا يحي بن سعيد الاموي عن ابن جريج عن ابن أبي مليكة عن ام سلمة قالت كان رسول الله (ص) يقطع قراءته (بسم الله الرحمن الرحيم * الحمد لله رب العالمين * الرحمن الرحيم * مالك يوم الدين) وهكذا رواه ابو داود

---

(١) أي لام لفظ الجلالة والمد في أسماء البسملة هو الذي يسمية القراء المد الطبيعي الذي لا يتحقق حرف المد بدونه وحروف المد هي الالف والواو والياء الساكنة

من حديث ابن جريج وقال الترمذي غريب وليس اسناده بمتصل يعني ان عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة لم يسمعه من ام سلمة إنما رواه عن يعلى بن مملك كما تقدم والله تعالى اعلم

الترجيع

حدثنا آدم بن ابي اياس حدثنا شعبة حدثنا ابو إياس قال سمعت عبد الله بن مغفل قال رأيت النبي (ص) وهو على ناقته او جمله تسير به وهو يقرأ سورة الفتح او من سورة الفتح قراءة ليّنة وهو يرجع. وقد تقدم هذا الحديث في القراءة على الدابة وأنه من المتفق عليه، وفيه ان ذلك كان يوم الفتح. واما الترجيع فهو الترديد في الصوت كما جاء ايضاً في البخاري انه جعل يقول اا اا وكأن ذلك صدر من حركة الدابة تحته فدل على جواز التلاوة عليه وإن افضى إلى ذلك. ولا يكون ذلك من باب الزيادة في الحروف بل ذلك مغتفر للحاجة كما يصلي على الدابة حيث توجهت به مع امكان تأخير ذلك والصلاة الى القبلة والله اعلم